دمار بومپـايي

من رسالات المأسوف عليـه يوسف حبيب باخوس الغزيري

نظر فيها الاديب نجيب افندي باخوس

عثرت على هذه الرسالة التي كتبها رحمهُ الله سنة ١٨٧٩ يوم زار آثار مدينة Pompéi او Pompéia . واطلالها الدارسة بمناسبة عيد تمام الالف والثمانمائة سنة لدمارها فاحببت بسطها لمضرة قراء المشرق اكرام لفائدتها التاريخيَّة

في هذه الايام كان القوم هنا مشغولين بافراح عيد احتفـالي لهجت بذكرهِ معظم الجرائد والصحف وكان الكلام عنهُ موزونة للاجتماعات والمراسح والقهاوي واينما سرنا او تحوَّلنا كنَّا نسمع صدى اخبارهِ يرويها الشيخ والشاب والعجوز والفتاة فهـل يمكنكم ان تخمّنوا او تعرفوا موضوع هذا العيد وتذكاره ؟ هو عيد لتذكار خراب مدينة بومپـايي الشهيرة التي غرقت بنيران الڤيزوف (Vésuve) وقد مضى على ذلك الف وثمانمائة سنة تماماً . فهل سمعتم قط او خطر على قلب بشر ان يقوم الناس بافراح عيد خراب المدن وان يحتفل بالهرج والمرج ذلك اليوم الذي قتل بهُ الوف من الناس وغارت في قلب الارض مدينة عظيمة لم ينجُ منها مُخبر ؟ . . . فالحكومة تصرف مبالغ باهظة من الاموال في هذا الشأن وتدعي معتمدي الدول الاجنبيَّـة لكي يسمعوا اصوات الموسيقى ونغماتها تصدح فوق خرائب مدينة حزينة اولى بها الندب بمراثٍ تفتّت الأكباد فلله امرنا والاعتصام بالصبر

وقد استغنمت هذه الفرصة وتوجّهت لاشاهد آثار هذه المدينة وربوعها الدارسة فاذهلني ازدحام النـاس واختلاف اجناسهم وكلهم يأتون طرّاً . فمنا البعض يرقصون وهناك يعزفون بآلات الطرب وفي هذه الجهة بعض الخطبـاء يترنّمون بما اعدّوهُ من العبارات الطنَّانة وفي تلك الملهاء يتباحثون ويشيرون الى بعض هذه الآثار وفي الوسط كثير من الاشراف ووكلاء الدول . فرنسـاويون يشربون نخب ايطالية وايطاليان على نخب فرنسة . واعجب من كل ذلك بهرجة السيدات وغنى ملابسهنَّ يخطرنَ في حلاهنَّ بدلاً من ان يندبنَ اسلافهنَّ

فآثار هذه المدينة معجبـة جدًّا وتروق للناظر لان اكثرها محفوظ كما كان وهي تشبه بنايات بيروت العاديَّة وبيوتها على طرزها الحالي فترى غرفة للاستقبال من جهة

(صالون) وغرفة من اخرى ودارًا مسقوفة في الوسط . قد بنى هذه المدينة شعب الاتروسك (Etrusques) نحو ثمانمائة سنة قبل المسيح وقد حسّنت بناءها نحلة يونانيّة. فسنة ٥٣ للمسيح حدث بها زلزلة قويّة خربت جانبًا منها ويوجد الى الان في بعض نواحيها الموادّ والآلات المعدّة لبناء خرابها . وقد اعتنّت كثيرًا هذه المدينة بسطوتها وغناها وشهرة العابها . وسنة ٧٩ م في اوائل شهر تشرين الاول فاض عليها بركان الڤيزوف فابتلعها وغرقت تحت رماده وموادّه الزفتيّة وهاج عليها البحر من جهة اخرى فغطاها برماله الكثيفة . وكان حينئذٍ بلينيوس الشاب (Pline le Jeune) ابن اخي بلينيوس الشهير (Pline l'Ancien) واقفًا عن بعد ينظر هياج الجبل وغرق المدينة فكتب على شرح هذه الواقعة الهائلة تحارير ورسائل تفتت الاكباد وعدّد ذلك اليوم الهائل باقوال تشيب الفتيان وكان عمهُ الفيلسوف وسط بومبايي فهلك مع من هلك ومن ذاك الحين لم يَعد يُسمع ذكر ولا خبر لهذه المدينة وضاع من فكر البشر موضعها وتاريخها

وفي سنة ١٧٥٠ م كشفت سكّةُ احد الفلاحين بعض معابرها فتنبهت افكار الحكومة لذلك وباشرت كشفها . وقد بان منها الى الان جانب عظيم ويقدّرون ان الشغل بها يكمل بعد اربعين سنة . وقد اغنت آثارها متحف نابولي . واعجب ما رأيت هناك صورة تمثّل حرب ستة اشخاص من رخام بكبر طبيعي يتبارزون بالاسلحة المختلفة ومنظرهم ووقفتهم تدهش العقول . ويُقتضى مجلدات عديدة لتعداد النقوش والتماثيل التي وجدت مضطجعة من اجيال في وسط هذه المدينة المنسيّة

وفي بيوتها اكثر الادوات باقية على ما كانت عليها قترى المواعنة والاكسية والمفروشات كلّ في موضعهِ وجميع ذلك داثر . وفي بعض البيوت يُدر موضوعة فوق النار وفي بعضها عائلة جالسة على مائدة الطعام وهنا رجل على كرسي يقرأ كتابة وهناك كاتب يتسنّى امام طاولتهِ وفي هذا المنزل صبية تشتغل في نولها وفي ذاك اخرى يسامرها شاب لعلّهُ خطيبها . وعلى مجاري المياه أقوام يلهون ويطربون ونساء ذهبنَ ليستقينَ فداهم الموتُ جميعهم . وترى الاسواق والشوارع على ما كانت عليهِ فاختنق ساكنوها وعابروها وهم يبيعون ويشترون وتشاهد كثيرًا من القتلى كانهم مستعدّون للهرب ولكن الى اين يهربون ؟ وحينما ابتلعها الڤيزوف كان معظم اهليها في محضر اللعب (تياترو) بين رقص

وطرب وسرور وارتياح . ويقدّرون انّ هذا الملعب يسع نحو ٥٠ الفاً من النـاس فلذلك ترى العظام البالية حولهُ ركاماً

امّا اصنام هذه المدينة وتماثيلها ونقوشها فهي مذهلة للغاية . وقد ظهر فيهـا الى الان ستة ملاعب (تياترات) فسيحة الارجاء متسعة الجوانب وأبراج هائلة وهياكل رحبة للغاية . وقد استلفتت انظاري كثرة النقوش القبيحة في محـلات متعدّدة ممّا يدلّ على انها كانت مواخر الفجور والفساد . فربّما قاصّ المولى هذه المدينة لفجور اهلهـا المفرط . وكلُّ ما فيها يدلّ على غنى المال والصناعة . وشاهدت في بعض منازلها البالية نوافذ من بلّور لكنّها صغيرةٌ على شكل النوافذ القـديمة في سوريّة . وطبقات البناء قليلة عندهم

ومجمل القول انّ بقايا هـذه المدينة وآثارها تدهش المسافر وتوطد بفكره عظمة الاجيال الغابرة . وكثير من الكتبة والمؤلفين قد أفاضوا في الكلام عنهـا ودوّنوا اخبارها في مجلدات ضخمة فلا يمكن الإخبـار عنها والارتواء من اقاصيصها بوجيز الكلام فنكتفي بهذا القدر

الزلازل

بقلم الاديب عبد الله افندي رزق الله شارّ احد مأموري سنية ولاية بيروت الجليلة

زارت الزلازل بلادنا غير مرّةٍ فانزلت بها الويل والبلاء . ودهمت من عهد قريب ولاية آيدين فوسّدت كثيرًا من سكّانهـا التراب وأخفتهم السماء . وقد تناقلت الصحف السيّارة آنئـذٍ حوادثها الدهماء . فاعلمتنا بما تركت بعد اجتيازها من آثار الخراب والشقاء . الّا انها اكتفت بنقل اخبارها ووصف ويلاتها ومضارّها

نعم نشر حضرة العالم الفاضل الاب هنري لامنس في مجلة المشرق (١ : ٣٠٣ و ٣٣٨ و ٢ : ٩٧٠) مقالتـين نفيستين على زلازل سوريّة وبيروت فجمع فيهـا وادعى . لكنّ حضرتهُ ايضًا اقتصر على بيان تاريخها ووجهة سيرها في بلادنا . فاحببت الان ان ابحث عن هذه الآفة من حيث العلم وما توصّل اليهِ من معرفة امرها مشاهير علماء طبقات الارض (الجيولوجيون) وبالله المستعان